



هل يتدخل الله فى السياسة؟

للقس اغسطينوس منا



بمناسبة انتخابات مصر يجدر بنا أن نبحث في الكتاب المقدس عما جرى حولنا وما هو دور الله وخطته وسماحه بكل ذلك.

هل يتدخل الله في السياسة العالمية؟

أجاب دانيال النبي على هذا السؤال في رده على الملك نبوخذنصر (سلف صدام حسين) عندما تكبر وجبر فزع الله الملك عنه وضربه بالجنون فطرد من بين الناس وصارت سكناه مع الحيوان وصار يأكل العشب كالثيران لمدة سبعة أزمانه وقال دانيال "حين تعلم أن العليّ متسلط في ملكة الناس وأنه يعطيها لمن يشاء" (دا : ٢١ : ٣٢).

بل اسمعوا ذلك الامبراطور نبوخذنصر نفسه يعترف ويقول بعد إنتهاء مدة العقوبة المذكورة "وعند انتهاء الأيام أنا نبوخذنصر رفعت عيني الى السماء فرجع اليّ عقلي وباركت العليّ وسبّحت وحمدت الحى الى الأبد الذى سلطانه سلطان ابدى وملكوته الى دور فدور. وحسبت جميع سكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل ... فالآن أنا نبوخذنصر أسبح وأعظم وأحمد ملك السماء الذى كل أعماله حق وطرقه عدل ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر أن يذله" (دا : ٣٤ - ٣٧).

هذا كان اعتراف وشهادة نبوخذنصر الوثنى وأعظم ملوك وأباطرة عصره فى سلطته وسطوته وكثرة فتوحاته واتساع ملكته وشراسته. وكان دانيال النبي الحكيم الذى كان أحد المسبيين الذين أسرهم نبوخذنصر عندما أخرج أورشليم وهدم الهيكل ثم أعجب بتقواه وأمانته وحكمته فعينه مستشارا له - قد فسّر له احلامه مرتين وأخبره بكل شجاعة وأدب بما سيصيبه وحذره ونصحه بالقول: " أيها الملك فلتكن مشورتى مقبولة لديك وفارق خطاياك بالبر وأتامك بالرحمة للمسكين لعله يُطال اطمئنانك" (دا : ٢٧). وكرر له دانيال فى نفس الأصحاح الرابع من سفره ثلاث مرات "هذه العبارة لكى تعلم أنت وجميع الأحياء أن العليّ متسلط فى ملكة الناس فيعطيها لمن يشاء وينصّب عليها أدنى الناس" (دا : ١٧ ، ٢٥ ، ٣٢).

أيها الناسى رويداً قلب التاريخ تفهم

إذا قلبنا التاريخ نرى أن مبدأ سيطرة الله على تاريخ العالم وسياسته مؤكدة ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

١ - أرسل الرب موسى النبي لفرعون ملك مصر برسالة و أيده بآيات وعجائب حتى يصدق ولكنه رفض واستهزأ وعاند وحدى وقال: «من هو الرب حتى اسمع لقوله فأطلق اسرائيل؟ لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه» (خره : ٢). وبقية القصة معروفة حتى أضطر الرب أن يضرب فرعون ومصر القديمة عشر ضربات وأنتهى الأمر بفرقه مع جيشه فى البحر الأحمر. والأمر الذى يهمنا هنا هو إبراز قول الرب لموسى فى شرح حكمة الله هنا وتعليق الرسول بولس عليها ...

"قال الرب لموسى بكر فى الصباح وقف أمام فرعون وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين اطلق شعبى ليعبدونى. لأنى هذه المرة أرسل جميع ضرباتى إلى قلبك وعلى

عبيدك وشعبك لكي تعرف أنه ليس مثلى فى كل الأرض فإنه الآن لو كنت أمد يدي وأضربك وشعبك بالوباء لكنت تباد من الأرض. ولكن لأجل هذا أقمتك لكي أريك قوتي ولكي يخبر بإسمي كل الأرض .. (خر: ١٣-١٧).

ويعلق الرسول بولس على ذلك بقوله: "لأنه يقول لفرعون أنى لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي ولكي ينادى باسمي فى كل الأرض ... أليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان؟ فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناء (صبر) كثيرة آنية غضب مهياة للهلاك، ولكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد" (رو: ١٧-٢٢).

٢ - وأرسل الرب صموئيل النبي ليعلم لشاؤول الملك قرار عزله "لأنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكاً على إسرائيل .. يمزق الرب مملكة إسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك (داود) الذي هو خير منك" (اصم: ١٥ : ٢٦-٢٨).

٣ - كما أرسل الرب إلييا النبي برسالة شديدة للهجة، أو لعله حكم بالدينونة والاعدام للملك آخاب وزوجته الشريرة إيزابيل "هل قتلت وورثت أيضاً؟ هكذا قال الرب فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلام دمك أنت أيضاً ... والكلاب تأكل جسد إيزابيل عند مترسة يزرعيل من مات لآخاب فى المدينة تأكله الكلاب ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء" (امل: ٢١ : ٩-٢٥).

٤ - وكان هامان يشغل أعلى منصب بعد الملك أحشويرش ملك مادي وفارس أى إيران حالياً ودبر مؤامرة لإبادة شعب الله وتحصل على توقيع الملك على قرار الإبادة. ولدى صوم استير ومردخاي وكل الشعب وصلاتهم لينقذهم الله، فقد تجدد الله فى خلاصهم وعلى الباغي دارت الدوائر وحوّلت يد العناية الإلهية المؤامرة الشريرة على رأس صاحبها بمعجزة فألغى الرسوم الملكى وتقرر إعدام هامان وأولاده (سفر استير الأصحاحات من ٣-٧). وانقذ الرب شعبه وتعين مردخاي محل هامان.

٥ - على اثر غضب الله على سليمان بسبب زواجه من الأجنبيةات وذهابه وراء آلهتهن مزق المملكة عنه (امل: ١١).

٦ - وهكذا تدخل الرب وأرسل ملاكه فضرب وأهلك جيش سنحاريب ملك آشور الذى عبر حزقيا ملك يهوذا وخذى الله فهرب سنحاريب وعاد إلى بلاده فقتله أبناه (أش: ٣٦).

٧ - نقرأ فى سفر أرميا النبي قول الرب عن يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا عندما يموت "لا يندبونه قائلين آه يا أخى أو آه يا سيد أو آه يا جلاله بل يدفن دفن حمار مسحوباً ومطروحاً بعيداً عن أبواب أورشليم" (أر: ٢٢ : ١٨-١٩). وقال الرب عن كيناهو بن يهوياقيم ملك يهوذا "حتى أنا يقول الرب ولو كان كيناهو خاتماً على يدى اليمنى فإنى من هناك أنزعك". وقال أيضاً "اكتبوا هذا الرجل لا ينجح فى أيامه لأنه لا ينجح من نسله أحد جالساً على كرسي داود" (أر: ٢٤ : ٢٠-٣٠).

٨ - وأنهى الرب حكم بيلشاصر بن نبوخذنصر بظهور طرف اليد التى كتبت على

مكلس الخائط «أحصى الله ملكوتك وانهاه. وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً. قسمت ملكتك وأعطيت لمادى وفارس» وفى تلك الليلة قتل بيلشاصر ملك الكلدانيين (دا: ٥٤ : ٢٤ - ٣١).

٩ - ومن الأمثلة فى العهد الجديد الملك هيرودس الذى هتف له شعبه المنافق «هذا صوت إله لا صوت إنسان. فى الحال ضربه ملاك الرب لأنه لم يعط المجد لله فصار الدود يأكله ومات» (أع ١٢ : ٢١).

١٠ - وليس بعيداً عن ذاكرتنا ما حدث لرئيس مصر الأسبق محمد أنور السادات عندما أساء إلى كنيسة المسيح وقداسة البابا شنوده والأساقفة والكهنة فاستأصله الله من أرض الأحياء فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ على ايدى الإخوان المسلمين الذين شجعهم. وخلفه خليفته حسنى مبارك والحكم عليه بالسجن المؤبد هو ووزير داخلية.

هل توجد نصوص كتابية تؤيد تدخل الله فى السياسة؟

نعم توجد تصريحات إلهية كثيرة تؤيد أن العلى متسلط فى ملكة الناس ومن أمثلة ذلك:

+ قول الرب لأرميا النبى شرحاً لتشبيه الرب لنفسه بالفخارى أو الخزاف قائلاً «هوذا كالطين بيد الفخارى أنتم هكذا بيدي يا بيت اسرائيل تارة أتكلم على أمه وعلى ملكة بالقطع والهدم والاهلاك فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر (العقاب) الذى قصدت أن أصنعه بها. وتارة أتكلم على أمة وعلى ملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر فى عيني فلا تسمع لصوتى فأندم (أعدل) عن الخير الذى قلت أنى أحسن إليها به» (أر ١٨ : ١-١٠).

+ ومن هذا القبيل أيضاً قول للحكيم سليمان فى سفر الأمثال «قلب الملك فى يد الرب كجداول مياه حيثما شاء يميله» (أم ٢١ : ١). ومثل قوله فى سفر الجامعة «فوق العالى عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما» (جا ٥ : ٨).

+ وهوذا داود الملك والنبى يقول بالروح القدس مخاطباً الملوك قائلاً: «فالآن يا أيها الملوك تعقلوا تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الربخوف واهتفوا برعدة. قبلوا الإين لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق» (مز ١٠ : ١).

وقد رأينا إنذار الله لنينوى فى العراق أيضاً على يد يونان النبى أنه «بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى» (يون ٣ : ٤). فلما تاب ملك نينوى. وعظماؤه وشعبه وصاموا وصرخوا إلى الله طالبين الرحمة. غفر لهم الرب وعدل عن العقوبة.

وهكذا يشهد سفر القضاة كله عن الدور الإلهى فى حياة شعبه كلما ارتدوا وعملوا الشر دفعهم مرة ليد الفلستينين واخرى ليد المديانيين ومختلف الأعداء فإذا تابوا وصرخوا إلى الرب سامحهم ودافع عنهم وطرد الأعداء الذين أذلهم.

ولكن هذا لا يعنى أن الرب دائماً يتدخل فى حياة جميع الشعوب أو يفرض إرادته عليها وإنما هذا يحدث كثيراً حسب حكمته وعدله ورحمته. وحماية شعبه من الظلم والاستبداد.

ولكن إلا يحترم الله حرية إرادة الإنسان؟ وهل توجد مبررات وأسباب معينة تدعو لتدخل الله في سياسة الشعوب والأمم؟

ذكرت اكثر من عشرة أمثلة كتابية عبر أجيال التاريخ تثبت أن الله هو الضابط الكل والمسيطر على الكل. وأنه يتدخل في سياسة الأمم والشعوب بطرقه الخاصة وحسب حكمته وعدالته وارادته الصالحة.

وانتهيت الى سؤالين هما : إلا يحترم الله حرية الإنسان؟

وهل يتدخل في كل كبيرة وصغيرة أم يتدخل في حالات معينة وخطيرة؟

وللإجابة على السؤال الأول نقول أن القاعدة العامة هي أن الله يحترم حرية ارادة الإنسان لأنه تبارك اسمه هو الذى منح الإنسان هذه الحرية. أنه يحترم حرية الإنسان الى درجة أنه يترك الملحدين والوثنيين والأشرار الذين يجدفون عليه ويكسرون وصاياه بل ينكرون وجوده وأجيله وصليبه. يتركهم فى ضلالهم ويحسن إليهم ويعمل على خلاصهم بصبر عجيب.

والقول بغير ذلك أى بأن الله يفرض ارادته ولا يحترم حرية ارادة الإنسان. معناه أن الإنسان مُسَيَّر وغير مُخَيَّر. وهذا غير مقبول لأنه يتعارض مع طبيعة الله ومع وصاياه. كما أنه يؤدي الى نتيجة شاذة وهى أن الأشرار القتلة واللصوص يبررون جرائمهم بإلقاء اللوم على الله بزعم أنهم مسلوبى الإرادة و أن الله هو الذى دفعهم الى ذلك مع أن الله قدوس وصالح ولا يطبق الشر والخطية ... وأيضاً القول بأن الإنسان مُسَيَّر يهدم فكرة الدينونة والحساب والعقاب لأنه كيف يدين الله الإنسان اذا كان هو الذى دفعة الى الشر؟! !!

إذن فالإنسان حر ومُخَيَّر أصلاً ... ولكن هذه الحرية ليست مطلقة بل هي مقيدة بالقوانين السماوية والوضعية وبشروط عدم الأضرار بالغير.

فاذا جَبَّر الإنسان وطغى وظلم فإنه يتعرض لغضب الله وتأديبه أو عقابه أو اقتلاع حياته من جذورها (تك ٣٨ : ٧ ، مز ٥٢ : ٥). وأما الأجابة على السؤال الثانى :

متى يتدخل الله؟ ما هى الحالات التى تبرر تدخل الله فى سياسة الأمم والشعوب؟

يتدخل الله فى السياسة فى الحالات الآتية :

أولاً - عند الانحراف عن ارادته ومقاومة مشيئته:

فنفقراً فى كلمة الله منذ بدء الخليقة انه عندما خالف بنو آدم عقب الطوفان لعمل مدينة وبرج بابل بحيث يصل الى السماء، لمنع الله من معاقبتهم مرة اخرى بالطوفان ! وهنا بلبل الله لسانهم فعجزوا عن التفاهم وفشل مشروعهم وبددهم على وجه الأرض (تك ١١ : ٩ - ٤).

ثانياً - عند إنتشار الشر و الفساد:

لما زادت شرور مدن سدوم وعمورة وباقي مدن الدائرة وأنتشرت خطايا الزنى والشذوذ الجنسى، احرقها الله ودمرها وأهلك شعوبها (تك ١٩).

وهكذا أذّر السيد المسيح مدن صور وصيدا وكفرناحوم الشريرة وتنبأ بهلاكها «وأنت يا كفرناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية (مت ١١ : ٢٢). وبالفعل قد بدأت هذه البلاد وهذا حدث فى السبى البابلى اذ عاقب الله مملكة يهوذا (الجنوبية) بسقوطها فى السبى (الأسر) لمدة سبعين سنة فى بابل. وكذلك السبى الآشورى.

وفى التاريخ الحديث سقوط الأتخاد السوفيتى الشيوعى الملحد والمردت الذى استمر سبعين سنة أيضاً.

ثالثاً- عند زيادة الظلم وتلوث العدالة:

حدث هذا فى مصر عندما ظلم المصريين القديما بنى اسرائيل و أذلّوهم ومرّروا حياتهم بعبودية مُرة وحايلوا على القضاء عليهم بسياسات ظالمة شريرة خبيثة فاضطر الرب أن يُخلّص شعبه وضرب فرعون وكل شعبه عشرة ضربات حتى خربت مصر بسبب عناد فرعون وغباء سياسته وأخيراً هلك هو وجيشه غرقاً فى البحر الأحمر (سفر الخروج من ص ١ الى ص ١٤).

وعندما قيل ان الأرض امتلأت ظلماً أيام نوح أهلك الله أهلها بالطوفان وبدأ بداية جديدة مع نوح البار ثم ابراهيم.

رابعاً- اذا صرخ المؤمنون الى الله بالصلاة والصوم طالبين تدخله لإنقاذهم من الظلم والأضطهاد اللذين تجاوزا حدود الاحتمال:

ان الله لا يقبل الظلم ولا يطيقه وهو لا بد أن يتدخل سريعاً لإنصافهم و معاقبة الظالمين الأشرار. وتوجد عشرات الآيات تؤيد و تؤكد هذه الحقيقة (وخاصة سفر المزامير) ولكنى أكتفى بذكر آيتين أحدهما من العهد القديم والثانية من العهد الجديد وهما :

١) «فصرخوا فصعد صراخهم الى الله من أجل العبودية فسمع الله أنينهم ونظر الله وعلم الله» (خر٢ : ٢٣ . ٢٤) .. وقال الرب أنى قد رأيت منذة شعبي الذى فى مصر وسمعت صراخهم وعلمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم...» (خر٣ : ٧ . ٨).

٢) وقال السيد المسيح له المجد فى مثل قاضى الظلم : «وقال الرب اسمعوا ما يقوله قاضى الظلم. أفلا ينصف الله مختارية الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم. أقول لكم أنه ينصفهم سريعاً» (لوقا : ١٨ - ٦ - ٨).

ان صلاة سليمان عند تدشين الهيكل أيضاً تؤكد هذه الحقيقة الثابتة التى يؤمن بها الحكماء ويعمى عنها العميان

(امل٨ : ٢٢-٦٠).

خامساً- عندما تجتمع هذه الأسباب السابقة معاً:

أى الانحراف عن إرادة الله الصالحة. ومقاومة مشيئته. وإنتشار الشر والفساد (ولو تحت ستار الدين وهذا أشتر). وجاوز الظلم المدى بإنعدام العدالة وخلل ميزان القضاء وتلوث آخر صمام أمان ممثلاً فى الشرطة والمحاكم بل وفى القيادات الدينية - كما هو الحال فى مصر

حالياً للأسف الشديد - فإن كل عاقل ومؤمن حقيقى يصرخ الى الله لأبد وأن يتوقع تدخل
إلهى سريع وعادل لرفع الظلم وتعزية المظلومين ومعاقبة الفجار المجرمين وتصحيح الموازين
المقلوبة.

أن ضياع الأخلاق - التى هى الحد الأدنى من الدين - واستفحال الجرائم وشلل أجهزة
الأمن والقضاء حتى ترتكب الجرائم فى الشوارع جهاراً نهاراً ضد أقباط مصر الذين يزيد
عدهم عن سكان الكثير من الدول العربية فلا يُقبض على الجناة المسلمين ولا يُحاكمون،
وإذا وصلوا الى المحكمة يُقضى ببراءتهم وحبس الجنى عليهم ! هذا يتكرر كل يوم بمصر من
هدم الكنائس وقتل الأبرياء والسرقه ونهب محلاتهم ومناجرهم وخطف نساءهم وبناتهم،
والمصيبة الكبرى هى تبرير هذه الجرائم البشعة سواء للمجرمين أو القضاة المتعصبين
والحكام والمحافظين العميان بفتاوى دينية حقيرة ملتوية شيطانية مثل الزعم الاجرامى
بأن المسيحيين كفار يحل قتلهم وسرقتهم واغتصاب نساءهم بلا عقاب، ونسب هذه
السياسة الجهنمية الى الشريعة الاسلامية وهو لو صح زعمهم لكانت شريعة الغاب
أشرف وأفضل منها.

يقول كتابنا المقدس ان "مُبرئى المذنب ومُذنب البرئ كلاهما مكروه عند الرب" (أم ١٧ : ١٥).
ويقول أن «خطايا بعض الناس واضحة تتقدم الى القضاء وأما البعض فتتبعهم» (تى ٥ :
٢٤). وأن غضب الله مُعلن من السماء على جميع فجور الناس وأثمهم» (روا ١ : ١٨).

يقول الرب "من أجل شقاء المساكين وتهدد البائسين أقوم أصنع الخلاص علانية"،
ويقول أيضاً "أن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل فى البلاد فلا ترتع من الأمر، لأن فوق
العالى عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما" (جا ٥ : ٨).

وهناك سؤال أخير وهو:

كيف يتدخل الله ؟

ان الله تبارك أسمه له طرقه الكثيرة التى يتدخل بها فى سياسات الأمم والشعوب ...
أحياناً بطريقة ظاهرة واضحة معلنة للجميع، وأحياناً بطريقة خفية. أحياناً بطريق الخير
والأحسان و أحياناً منع الخير والأحسان ... وأحياناً بطريق البناء والغرس، وأحياناً بطريق الهدم
والقلع والإهلاك (راجع أرم ٧ : ١٠ - ١٠).

وقد يكون التدخل الألهى بطرق العقاب اذا لم تفهم الأمة طريق الخير والاحسان، كما فى
حالة السماح بالحروب والثورات والأوبئة والمجاعات والزلازل المدمرة و إقتلاع أو إستئصال القادة
والرؤساء الظالمين الذين لا يعرفون الحق والرحمة والمساواة والعدالة الاجتماعية.

قال الرب رداً على صلاة الملك سليمان الحكيم:

"إن اغلقت السماء ولم يكن مطر وان أمرت الجراد أن يأكل الأرض و أن أرسلت وباء على
شعبى. فاذا تواضع شعبى الذين دُعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن
طرقهم الرديّة فإننى اسمع من السماء و اغفر خطيتهم و ابرئ أرضهم" (أخ ٧ : ١٣).

(١٤).



St. John
Coptic Orthodox Church
Covina, CA

Tel. (909) 592-8847
(562) 900-2695

Email: frhanna@mystjohn.org
Website: www.mystjohn.org